

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الخامس والخمسون

صفر ١٤٠٥هـ - نوفمبر ١٩٨٤م

المشرف على المجلة :

الدكتور مهدي علام

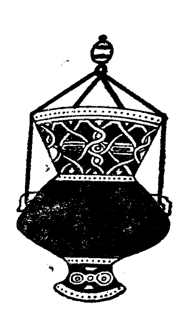
رئيس التحرير

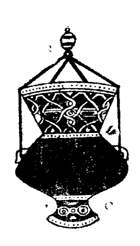
إبراهيم الترزي

الفهرس

تصدير :

البحوث :





تصدير
للدكتور مهدى علام

إنما يعرف الفضل من الناس ذووه

شرفني صديقي وزميلي الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ـ عضو المجمع ـ بإطلاعي على «وثيقة» وفاء كريم بينه وبين صديقنا وزميلنا المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش . وسمح لي (بعد تردد) بالتصرف فيها بما يثبت ما تحلى به المرحوم الدكتور الدمرداش ، من رفيع الأخلاق ، وصادق الوفاء ، مع شاعريته التي كانت تنبض دائماً كلما حل موقف لوجدان صادق في نفسه .

وفي هذه «الوثيقة» ، التي هي بخط المرحوم الدكتور الدمرداش تعبيره عن شعوره نحو صديقه وزميله الدكتور أحمد السعيد سليمان . بالإشادة بما هو معروف لنا جميعاً عن الدكتور السعيد ، من نبل خلق ، وصدق وفاء ، وعلم غزير في عمقه وشموله .

ولهذه «الوثيقة» قصة تشع حباً ووفاء وإخلاصاً .

فاستأذنت صاحبها ، الدكتور السعيد ، أن أنشرها قصةً ونصّاً : ذلك أنه كان قد سعد بإعطاء الدكتور الدمرداش نحو عشرين درساً في اللغة التركية . وشاء المرض أن يحجزه في المستشفى . وفي يوم زاره فيه الدكتور السعيد ، استند المريض المضنى إلى وسادة سريره ، وكتب في ورقة ما كان مقدراً أن يكون آخر شعره قبل وفاته بعام . (وأنا في غير حاجة أن أذكر أن هذا المهندس العالمي ، كان شاعراً يقول الشعر صادقاً مخلصاً) .

ولقد كان الدكتور السعيد متردداً في موافقته على نشر هذه الأبيات . لأنها إطراء له . وبين تردده هذا ، ورغبته في إثبات فضل الفقيد ، أمكنني أن أحصل على موافقته على نشرها في مجلة المجمع بخط صاحبها .

وأنا فخور أعظم الفخر بأن الدكتور الدمرداش كان لي من الخلصاء ، وبأنني أعتبر الدكتور السعيد في أعز منازل الإخاء .

المعادي — ٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ .

٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٨٧ م .

مهدى علام

وهذه هي وثيقة بخط صاحبها

بسم الله الرحمن الرحيم

إبراهيم إبراهيم الدرداش

إلى السيد الأكرم

الأستاذ الكبير الدكتور أحمد السعيد سليمان

دام فضله

"لما رأيت جموع الطير مقبلة
تلقى التحية ألحانا وتغريدا

أيقنت أن "ديار السعد" وجهتها
تهدي سليمان غصن السلم تقليدا

من غير "أحمد" يدري كنه منطقها
حتى يؤم صلاة الطير تجويدا

فالفرس ذاكرة والترك عارفة
والعرب شاهدة بالفضل تمجيدا

طوبى له بيننا في مجمع ~~[illegible]~~ شهدت
أهل العروبة في أرجائه العيدا"

مؤتمر المجمع في رجب ١٤٠٦ م

إبراهيم إبراهيم الدرداش


بحوث ومقالات

الرواسب الأعرابية في لغة مصر

للدكتور عمر فروخ

أريد بكلمة أعرابيّة هنا ما يشير إليه الباحثون عادة بالتعبير « ساميّة » أو اللغات السامية . هذا تعبير سكّه نفر من الدارسين للتوراة ، في سنة ١٨٣٦ للميلاد . وعَنَوْا به أن لغات البشر افترقت بافتراق أولاد نوح الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . وبما أن هذه التسمية خاطئة ، وبما أن اللُّغات التى نتكلّمها فى غربىّ آسيا وفى النصف الشمالىّ من قارة إفريقية (من أقصى شرقىّ إفريقية إلى أقصى غربيّها) قد نشأت ، فيما يرى نفر من الباحثين ، فى حياتنا البدوية أو الأعرابيّة وفى شبه جزيرة العرب فى الراجح ، فإنّنى أميل إلى أن أسمّى لغاتنا العَقَدية (ويقولون : الأكّاديّة والأكدية) والبابليّة والأشوريّة والآراميّة والحبشيّة والعربيّة وأخواتها كلها وبناتها : اللُّغات الأعرابيّة .

ومن الإنصاف والحقّ أن أقول : إنّ هذا التبديل فى هذه التسمية اقتراح لزميلى وصديقى الدكتور زكى النقّاش المولود عام ١٨٩٦ ، مد الله فى عمره ومتّعه بالصِّحّة والطمأنينة .

* * *

بدأ هذا الموضوع — موضوع الرواسب فى اللُّغة العربية — يتجلّى لى فى أثناء دراساتى اللغويّة والأدبية ورجوعى المتكرِّر إلى القواميس وكتب اللغة . وأوّل ما أثار اهتمامى كان وجود المترادفات والأضداد فى اللغة . إذا كانت ألفاظ اللغة للتعبير عن مدارك ومُسمَّيات معيّنة ، فلا يجوز أن يكون فى اللغة كلمة تدلّ على مدركين ولا أن يكون فى اللغة لفظان يدلّان على مدرك واحد .

لماذا نقول : « مَرّ » للشخص الذى يقطع المسافة أمامنا من جانب إلى آخر ، ثمّ نقول : « مُرّ » للشيء الذى يصبح طعمه قابضًا لأَلياف اللِّسان (بخلاف ما يفعل الطعم الحلو) ؟ ونَهَرَ ونَهْر ؟

لماذا يكون معنى « الجلَل » : الشيء الكبيرَ العظيم ثمّ الشيء الصغير الحقير ، ويكون من الأضداد ، كما جاء فى المعجم الوسيط (طبعة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، ١ : ١٣١) ؟

ثمّ بدت لى – فى أثناء دراستى القديمة والحديثة – أمور مغايرة للمنطق فى الصرف والنحو .

لماذا يكون الفعل « هلك » (بمعنى : مات) من باب ضرب ومنع وعلم (فى القاموس المحيط ٣ : ٣٢٤) ، ومن باب : ضرب ومنع (كما فى المعجم الوسيط – ٢ : ٩٩١) ؟ إذ ننتظر أن يكون هذا الفعل « هلك » من باب علم مثل مرض ، وفنى ، وبرئ المريض يبرأ (ونترك الآن : سمع ، وقطع ، وفعل وعمل) .

ثمّ بدت لى – فى أثناء دراستى – أمور مغايرة للمنطق فى لغة مُضر ، وعذّب الأساتذة بها ألسنتنا وعقولنا فى تخريجها وإعرابها ؛ كقول الشاعر القديم :

يا أيُّهـا الرجل المزجى مطيّته
سائل بنى أسد : ما « هذه » الصوت ؟

أو قول الآخر

إنّ أبَا هـا وأبا أبَاهَـا
قد بَلَغَـا فى الْمَجْـد غَايتَاهَا

أو كقول امرئ القيس فى معلّقته :

فَعَـادَى عِدَاءً بين ثور ونعْجَة
دِرَاكا ولم يَنْضَح بماءٍ فيغسل

والقاعدة فى النحو المضرىّ : . . .
ولم ينضح بماء فيغسلا .

وكقول امرئ القيس نفسه فى معلقته أيضًا :

كأنّ ثبيرا فى عرانين وبله
كبير أُناس فى بجاد مزمّل

والقاعدة فى النحو العربى المضرىّ : . . .
كبير أُناس فى بجاد مزمّل (برفع مزّمّل) .

هذه كلُّها بلا ريب أخطاءٌ لا تستحقّ أن يُفتح لها أبواب فى كتب اللغة وكتب النحو. والحلّ الصحيح لهذه الشواذ أن نقول: إنَّ امرأ القيس وزميليه من قبله قد أخطأوا « وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » .

غير أن هنالك أشياء أُخرى لا سبيل إلى عدها أخطاء شخصيّة، لكَثْرَةِ وُرودها فى الشعر والنثر وفى القرآن الكريم أيضًا، حتّى إنها تمثّل قاعدةً لا شكَّ فيها . كنت مرَّة أُحادث صديقًا فى هذا الموضوع، وكان من الذين يريدون أن يفتحوا لكلّ خطأ فى النصوص القديمة والجديدة أيضًا بابًا فى تاج العروس أو فى ألفيَّة ابن مالك . ولمَّا أعيانى تمسّكه بالمستحيلات، قلت له: أعرب بيت عنترة (أو البيت المنسوب إلى عنترة):

سكتُّ فغرَّ أعـدائى السُّكوت
وظنُّونى لأهـلى قد نَسِيت

وموضع الشاهد هنا: ظنُّونى « لأهلى » قد نسيت .

فقال صاحبى :

— اللام حرف جرّ زائد .

— لأهلى : مجرورٌ باللام، بحرف الجرّ الزائد .

— نسيت : فعل وفاعل .

فقلت له حينئذ :

كيف تكون اللام حرف جرّ زائدًا ثمَّ تعمل عمل حرف الجرّ الأصيل فتجرُّ الاسم الذى جاء بعدها؟ ثمَّ إنَّ الفعل « نسى » فعل متعدّ، فأين مفعوله؟ فلم يتردَّد صاحبى فى أن يقول: إنَّ كلمة « أهلى » هى « المفعول به » هنا . وسأرجع إلى هذه اللام فى صلب هذا الموضوع .

من هذه النقطة أصبح للموضوع حدوده المرسومة .

من أين جاءت هذه اللام الداخلة على كلمة « أهلى » فى بيت عنترة ؟

اللُّغة العربيَّة المضريَّة لغة أعرابيَّة مثل أخواتها الأشوريَّة والآراميَّة والحبشيَّة، والعبريَّة وسواهنّ . ولكنَّ اللغة العربية المضريَّة أوفر حظًّا من جميع أخواتها فى أمرين لا جدال فيهما :

* إنَّها لا تزال إلى اليوم حيَّة محكيَّة مقروءة مكتوبة كما كانت فى أيام الشعر

الجاهلىّ الأول الذى وصل إلينا من القرن الثالث قبل الهجرة (الرابع للميلاد) .

أما أخوات اللغة العربية ، فقد انقرض عددٌ منهنّ كالبابليّة والكلدانيّة ، والأشورية ولم يبق منهنّ سوى عددٌ من النصوص نقلّ أو تكثر . ومنهنّ ما لم يبق منه إلّا ألفاظ قليلة كالكنعانيّة (المعروفة عند نفر من الباحثين بالفينيقيّة) . وأمّا اللّغات التى بقيت حيّة من أخوات اللغة العربية المضريّة كالعبريّة والحبشيّة ، أو كالحيّة كالسريانيّة — إلى حدّ ما — فقد خسرت كثيراً من خصائصها الأولى

* إنّ اللغة العربية لا تزال تحتفظ بالإعراب كاملًا أو كالكامل (لأنّنا — لا نعرف اليوم مدى الإعراب الذى كان لها من قبل — ولكنّنا نعلم أن فى اللغات الجرمانيّة ، (كالألمانية والنروجيّة ، والأيسلنديّة خاصّة) وجوهًا من الإعراب أكثرَ كثيراً ممّــا فى اللغة العربية ، وفيما يتعلّق بأداة التعريف التى لها فى اللغة العربية صورة واحدة ، نجد لها فى الألمانيّة عددًا كبيرًا من الصور ثمّ عددًا أكبر فى اللغة الأيسلندية . ومن الأمثلة القريبة على ذلك أن للمجرور وللمضاف فى اللغة العربية حالةً واحدة من الإعراب ، على حين لهما فى اللغة الألمانية حالان .

* * *

بعد هذه الملاحظات اليسيرة نتقدم إلى الإتيان بعددمن الأمثلة لنرى ما الفرق بين الكلمة العربية المضريّة الخالصة وبين الكلمة الراسبة فى اللغة العربية من لغة أعرابيّة هى أُخت للغة العربية أو من لغة غير أعرابية .

إنّ الكلمة العربية هى الكلمة التى انتسجت فى الصيغ العربيّة وتقلّبت فى أحوال الإعراب العربى ، سواء أكانت تلك الكلمة من أصل أعرابىّ شقيق للغة العربية أو كانت من أصل غير عربى . إنّنا إذا أخذنا اللفظ من لغتنا ثمّ رأينا له أصلًا فى لغة أعرابيّة ، فليس معنى ذلك أن هذا اللفظ غير عربى . خذ مثلا كلمة « قتل » فى اللغة العربية المضريّة ، فإنّ معناها عندنا فى العربية المضريّة « أمات » . غير أنّنا فى لغتنا المحكيّة نلفظها (قطل) (مفخّمة بالطاء) ونقصد بها « ضرب » .

ونلتفت إلى الآراميّة والعبريّة فنجد هذا اللفظ نفسه بالطاء ، ومعناه قتل (أمات)

أمّا في العبريّة فله معان أكثر : القتل ، الذبح ، القطع . (ولعلّي رأيت أنّها في لغة أعرابية قديمة – الأشورية – ؟ تعني « ضرب » فهل يجوز لنا أن نقول : إن الفعل « قتل » لفظ دخيل في العربيّة أو معرّب ؟

وفي القاموس العربي معان غريبة من جذور مألوفة منها « قصد » . في هذا الجذر صيغ معانيها : استقام ، اتّجه ، توسّط في أمر من الأمور فلم يسرف ، اعتدل . ولكن إذا نحن استمررنا في قراءة صيغ « قصد » وجدنا « أقصد » بمعنى طعن ، أصاب مقتلًا من خصم . هذا المعنى من القتل هو معنى الفعل « اقشد » في الأشوريّة . فهل يجوز لنا أن نقول : إنّ الفعل « قصد » لفظ دخيل على اللغة العربية المضريّة ؟

وهناك في القاموس العربيّ كلمة لا شكّ في أن أصلها غريب ، هي كلمة دينار (وهي من كلمة « دينار يوس » اللاتينية) . ولكنّ هذه الكلمة لمّا دخلت في اللغة العربية تقلّبت في صيغ مختلفة ، فجاءفي تاج العروس : دنّر (بالبناء للمعلوم) وجهه تدنيرًا : تلألأ . ودُنِّر (بالبناء للمجهول) الرجل فهو مدنّر ، إذا كثرت معه الدنانير.

والمدنّر أيضًا ما كان فيه بقع مخالفة لسائر لونه . ودينار مدنّر : مضروب أومسكوك . وجمعوا دينارًا على دنانير (مثل : ميراث على مواريث ، ومزمار على مزامير) . وسموا أولادهم دينارًا (للذكور) ، ودنانير (للإناث) . ونسبوا إلى دينار فقالوا : شراب ديناري . ثمّ دخل عدد من هذه الصيغ في الشعر . فبطلت هذه الكلمة أن تكون دخيلة مع الإيقان بأن أصلها قد جاء إلى لغتنا من لغة أُخرى . غير أن كلمة « جلّنار » (زهر الرمّان) تظلّ دخيلة في اللغة العربيّة – وإن جاءت في الشعر العربيّ – إذ قال الشاعر الأندلسي ابن لبال – ولعلّه أبو الحسن عليّ ابن أحمد الشريشي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ . (راجع : نفح الطيب ٣ : ٤٤٢ والحاشية الخامسة) :

فحم ذكا في حشـــاه جمر
فقلت : مســـك وجلنـــار

ذلك لأنّ هذه الكلمة قد لزمت صيغة واحدة ، ولم تنتسج في الأبنية العربيّة .

بعد هذه الجولة القصيرة يحسن أن نرى عددًا من الكلمات العربية التي هي في الحقيقة رواسبُ أعرابيةٌ في لغتنا المضريّة .

• قال النابغة الذبياني في معلّقته :

فلا ، لعمرُ الّذي مسّحْت كعبته
وما « هُريقَ »على الأصنام من جسد

وقف الفيروزاباديّ صاحب « القاموس المحيط » أمام هذا الفعل « هريق » ، فلم يهتد إلى وجهه فلم يشر إليه في فصل الراء من باب القاف في « ريق » . ومع ذلك فقد قال بعد الجذر « ريق » (٣ : ٢٣٩) :

. . . راق الماء (بالرفع) : انصبّ . . . وهو يريق بنفسه عند الموت : يجود بها . وأراقه : صبّه (٣ : ٢٤٠) .

إنّ المعنى العام في هذا الجذر وارد في قول الفيروزاباديّ هنا ، ولكن الفيروزابادي لم يفطن إلى أن « هراق » صيغة من « ريق » (أو من « راق يريق ») . من أجل ذلك أورد هذه الصيغة الغريبة في مكان آخر (٣ : ٢٩٠ — ٢٩١) وفصّل الكلام فيها فقال :

هراق الماء يُهَريقه ، بفتح الهاء ، هِراقة بالكسر ؛ وأهرقه يُهريقه إهراقًا ، وأهراقه يُهَريقه إهرياقًا ، فهو مُهَريق ، وذاك اسم المفعول من صيغة « أهرقه يهريقه ») مهراق ، صبّه . وأصله أراقه يريقه إراقة . وأصل أراق أريق ، وأصل يريق يُرْيِق ، وأصل يُرْيِق يؤرْيِق . وقالوا : أهريقه ولم يقولوا : أأريقه لاستثقال الهمزتين وزنة يهريق ، بفتح الهاء ، يهفعل . ومهراق بالتحريك : مهفعل . وأمّا يهريق ومهراق ، بتسكين هائهما (أو هائيهما) ، فلا يمكن أن ينطق بهما لأن الهاء والفاء جميعًا ساكنان . . .

لا شكّ في أن الحسّ اللغوي عند الفيروزابادي كان في هذه الملاحظات مرهفًا ، ولكنّه وصفَ ظاهرَ الأمر ولم ينفذ إلى لبّه ، إلى الواقع اللغوي ، لأنّه لم يكن يعرف اللغات الأعرابيّة .

وهنالك في اللغة العربيّة فعلان آخران يجريان هذا المجرى هما : «هراح—هراد» . غير أن الفيروزابادي لم يفطن إلى الأوّل منهما ، ولكنّه أشار عرضًا إلى الثاني منهما فقال : (١ — ٣٤٨) : هرده يهرده : مزّقه وخرّقه . و (هرد) اللحم : أنعم إنضاجه أو طبخه حتّى تهرّأ كهرّده فهرد . . . وهردت الشيء أهريده أردته أريده . . .

والمرتضى الزَّبيدى لم يثبت الفعل « هراح » ، ولكن لمَّا شرح قول الفيروزابادى : « هردت الشيء أهريده : أردتُّه أريده ، قال : « كهراقه يهريقه » (تاج العروس الكويت ٩ : ٣٤٤) .

هنا يأتى عدد من الملاحظات :

– إنَّ هذه الأفعال الثلاثة : هراح يهريح ، هراد يهريد ، هراق يهريق أفعال رائيَّة (تبدأ براء) .

– ثمَّ هى يائيَّة مجرَّد جذرها : ريح يريح ، ريد يريد ، ريق يريق .

– ثمَّ هى مزيدة بالهاء لا بالهمزة ، فهى : هراح (فى مكان أراح) ، هراق (فى مكان أراق) ، هراد (فى مكان أراد) .

– ولكنَّ الهاء التى هى هنا من حروف الزيادة قد ثبتت فى صيغة المضارع (مع أن همزة الزيادة تحذف فى الفعل المضارع فى اللغة العربيَّة . فنحن نقول اليوم : أكرم يكرم (لا أكرم يأكرم) ، ونقول : أسلم يسلم (لا أسلم يأسلم) ، وإن كان العوام يقولون ذلك . يقولون : يءسلم ، يأضرب ..

هذه الأفعال الثلاثة الشَّاذَّة هى رواسب من اللغات الأعرابية متحدرة إلينا من عصور بعيدة . فالأعرابيُّون القدماء (أو جماعة منهم على الأقل) كانوا يقولون فى قتل : قتَّال (بفتح ففتح ممدود ففتح) . وأما الهاء فهى فى العبرية مثلا من حروف الزيادة ، يقولون : هفعيل ، كما نقول نحن : أفعل .

من أجل ذلك ، يجب علينا إذا نحن أتينا إلى بيت من الشعر وردت فيه كلمة من هذه الكلمات الثلاث أن نصرف ذلك البيت على أنَّه شاذ فى استعمال تلك الكلمة من غير أن نتمحَّل له التخريجات .

واحتاج الشاعر أبو تمَّام إلى هذه الكلمة « هراق يهريق » فعدَّ الهاء فيها أصلية ، كما عد الألف بعد الراء زائدة ، فقال :

لَبَّيْتَ صوتًا زبطريًّا « هرقت » له
كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

ثمَّ جاء شاعر متأخر هو أحمد بن أحمد العناياتى النابلسىّ المتوفى سنة ١٠١٣ للهجرة وكان قد رأى هذه الكلمة فى بعض قراءاته من غير أن يدرك حقيقتها ، فذكرها فى

شعره بصيغتين اثنتين (بسكون الهاء وبفتح الهاء) فقال :

كتَب الدَّمْع فَوْقَ مهراق خَدِّى
كم دم ٍ طَلَّ فى الْهَوى مهراق؟

* جهنَّم : جهنَّم كلمة دخيلة فى اللغة العربية ، وهى فى القاموس المحيط (٤ : ٩٢) منوَّنة ومعناها فيه «بعيدة القعر». وهى من الآراميَّة : جهنَّا بجيم قاهريَّة ممالة وهاء مفتوحة ثم نون مشددة مفتوحة فى الآراميَّة ومضمومة فى السريانية) . وهذه الكلمة انتقلت إلى اللغة العربية من الآرامية لا من السريانية بدليل أن النون فيها مفتوحة . وقرينة ثانية دليل على ذلك : أن القاموس المحيط يورد الكلمة نفسها بالمد « جهنَّام » . وأمَّا الميم فهى للتعريف وهى مأخوذة من العربية الجنوبيَّة . وعلى هذا فيجب أن تكون لفظة «جهنَّم» ممنوعة من الصرف (بخلاف ماذكر القاموس المحيط) ، وهى فى القرآن الكريم ممنوعة من الصرف .

ثمَّ إن ورود لفظ « جيهينوم » فى العبريَّة اسمًا قديماً لجبل قرب مدينة القدس لا يمنع القول فى أنَّ الميم هنا أيضًا للتعريف وليس من قصدنا الآن الخروج من الرواسب فى اللغة العربية إلى الرواسب فى اللغة العبريَّة .

* وكلمة الفردوس فيها شىء من الخلاف أو شيئان من الخلاف . فالشىء الأول : أهى عربيَّة أم أجنبيَّة ؟ والشىء الثانى : أهى من الروميَّة (اليونانيَّة) أم من الفارسيَّة ؟ ولقد تردَّد القاموس فى ذلك كله . (راجع تاج العرس – الكويت ١٦ : ٣٢١) . ولسنا الآن فى معرض الفصل بين أن تكون هذه الكلمة من الروميَّة أو من الفارسيَّة ، إذ هى على الوجهين من أصل أعجمى . أمَّا الخلاف فى أنَّها من الروميَّة أو من الآراميَّة فله محل للبحث هنا ، فإنَّ العرب لم يتلَقَّوْا الألفاظ الروميَّة (اليونانية) والعلوم اليونانية من اليونان رأسا . بل بوساطة اللغة الآرامية (السريانية) .

ولفظة فردوس جاءت فى اللغة العربية فى صيغ عديدة ومعان مختلفة . وجاءت القرآن الكريم مرتين « الفردوس » ، (بالتعريف ، كما جاءت فى شعر حسَّان ابن ثابت محلَّاة بلام التعريف) .

و لعلَّ هذه اللفظة لا ترجع إلى اللغة اليونانيَّة ولا إلى اللغة الفارسيَّة ، بل إلى

اللغات الخاصَّة بشرق آسيا ، فلقد جاءت في الهندية وفي الأرمنيَّة بمعنى البستان . وأمَّا إذا نحن أخذنا برأى القائلين بأن الكلمة عربيَّة ، فإنَّها تكون حينئذ من الرواسب الأعرابيَّة .

* اللام الدَّالة على المفعول به :

كانت اللغات الأعرابيَّة – مثل كثير من اللغات القديمة – معربة . ثمَّ بدأت تخسر حركات الإعراب . ومنذ زمن موغل في القدم زال الجانب الأوفر من الإعراب من لغات كثيرة . غير أن اللغة العربية مازالت إلى اليوم معربة .

والغاية من الإعراب أن يكون دالاًّ على أحوال الكلام فنعرف الكلمة العاملة (التى تقع بالفعل على غيرها) من الكلمة المعمولة (التى يقع الفعل عليها) . وفي عدد من الأحوال نعرف ذلك من طريق المنطق من غير حاجة إلى علامة ، مثال ذلك :

– قطع السيف اللحم أو قطع اللحم السيف .

– شرب سعيد ماء أو شرب ماء سعيد .

وكذلك إذا نحن جئنا إلى ألفاظ لا تظهر عليهـا – في نحونا الحاضر – علامات الإعراب ، لم نر الأمر يختلف في الجانب المنطقيّ ، كقولنا :

– أكل موسى الكوسى أو أكل الكوسى موسى .

غير أن هنالك أحوالًا لابدَّ من مراعاة الإعراب فيها حتّى يتَّضح معناها ويصحّ . فإذا نحن قلنا : زارت ليلى سلمى ، فمن الزائرة ، ومن كانت المزورة ؟

سيقول نفر : إن صاحب الاسم المتقدِّم هو الذى زار ، وإن صاحب الاسم المتأخِّر هو الذى زير . هذا مقبول في العرف لا في المنطق . ولكن هنالك أحوالًا لابدَّ فيها من الدلالة الماديَّة على أحد الاسمين . من أجل ذلك لجأ الأعرابيُّون القدماء ، فيما يبدو ، حينما فقدت لغاتهم علامات الإعراب المألوفة من قبل ، إلى أن يجعلوا في أول المفعول به لامًا لتمييزه من الفاعل (ولعلَّهم استبقَوْا هذه اللام من لغة سابقة) ، وأصبح ذلك قاعدة في اللغة السريانية في عدد من الأحوال .

وعندى أن هذه اللام يجب أن تكون أقدم من اللغة السريانية ، لأنَّ السريانية التى خسرت علامات الإعراب يجب أن تكون لغة أحدث عهدًا من اللغات التى كان فيها إعراب . ولنا دليل آخر فى وجود هذه اللام فى مواضع كثيرة من كلامنا وفى أدبنا وفى القرآن الكريم أيضًا . لقد مرَّ بنا قول عنترة : « وظنُّونى لأهلى قد نسيت » .

وقد أغنانى « المعجم الوسيط » عن تتبع عدد من الشواهد هنا وهنالك لمَّا نصَّ (٢ : ٨٠٩ ، العمود الثانى ، الرقم ١٣) على أن اللام تأتى للتعدية .

كما نصَّ أيضًا (العمود الثالث فى السطر الواحد والعشرين) على أنَّها تدخل على المفعول الثانى كقول بعضهم : « أراك لشاتمى » . وقد سمى المعجم الوسيط هذه اللام مرَّةً « لام التقوية » (العمود الثانى ، السطر السادس من أسفل) وأورد شاهدًا عليها الآية الكريمة : « لِلَّذِين هُم لِربِّهم يرْهبُونَ » (أى للذين يرهبون ربهم) .

وقد كنت أود أن أمضى فى المصحف فآتى بشواهد على هذه اللام (التى أسمِّيها أنا « لام المفعوم به ») ، نحو : « حافِظَات لِلْغَيْب » (٤ : ٣٤ ، سورة النساء) مكان حافظات الغيب ، ونحو : « وما كُنَّا لِلْغَيْب حافِظِين » (١٢ : ٨١ ، سورة يوسف) مكان وما كُنَّا حافظين الغيب . غير أن المعجم الوسيط قد كفانى مؤونة ذلك الآن .

وفى تاج العروس (الكويت ٦ : ٤٤٧) : سبَّح الرجل قال : سبحان الله . وفى التهذيب : سبَّحت الله تسبيحًا وسبحانا بمعنى واحد . فالقاموس ، إذن ، قد جعل الفعل « سبَّح » متعدِّيًا بنفسه فحسب . ولكنَّ هذا الفعل نفسه قد ورد فى القرآن الكريم متعدِّيًا بنفسه ومتبوعًا بهذه اللام التى تسمَّى لام التعدية . ففى القرآن الكريم : « وتُسبِّحُوه بُكْرةً وأَصِيلًا » ، و « ويُسبِّحُونَهُ ولَهُ يسْجُدُونَ » و « كَى نُسبِّحَكَ كَثِيرًا » و « سبِّح اسْم ربِّكَ الأَعْلَى » ثُمَّ « سبَّح للهِ ما فى السَّمٰوات وما فى الأَرْض » و « تُسبِّح لَهُ السَّمٰواتِ السَّبْع والأَرْض » ، وسوى ذلك من الآيات .

* حذف الياء المتطرِّفة آخرًا (فى اللغة العربية) خطًّا ولفظاً فى عدد من الأحوال . هذه الياء تحذف فى الارامية لفظًا لا خطًّا

ويجعل على الياء خط معترض للإشارة إلى إهمالها فى اللفظ .

وأنا هنا أريد أن أجعل شواهدى مأخوذة من القرآن الكريم ، ولا أعرف تعليل ذلك . هذه الشواهد هنا :

- « ذَٰلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ » (١٨ : ٦٤ ، سورة الكهف) .

- « الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * والَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى ويَسْقِينِ * وإِذَا مرضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * والَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ » - (٢٦ : ٧٨ - ٨١ ، سورة الشعراء) .

- « فاتَّقوا الله وأَطيعون » (٢٦ : ١٠٨ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، سورة الشعراء) .

ولما وصل الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة مهاجرًا تلقَّاه أهلها منشدين :

طلع البدر علينـــا
من ثنياتِ الوداعْ
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعْ
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاعْ

والشاهد هنا « ما دعا لله داع » . ويجوز فى هذه القوافى كلِّها الكسر مع الإشباع . وهذا يدل على أن العرب عَرَفوا حذف الياء المتطرفة من الأسماء أيضا بالإضافة إلى الأفعال .

* الهزبر فى تاج العروس (الكويت ١٤ : ٤٣٣) : الأسد ، والشديد الصلب . وقال صاحب التـــاج : واختُلف فى الهزبر ، فقيل : رباعى ، وهاؤُه أصلية . وقيل : الهاءُ زائدة وأصله من الزبر . والزبر أيضاً معناها الشديد الصلب .

ولعلّ الهاء هنا أداة تعريف دخلت على كلمة زبرلتخص بها الأسد . ثمّ بقيت صورة هذه الكلمة فى الذاكرة العربية دهرًا طويلا فنسى الناس أنَّهَا معرّفة فحَلَّوْها بلام التعريف العربية أيضاً . وعلى هذا قول بديع الزمان الهمذانى (ت ٣٩٨ هـ) فى إحدى مقاماته على لسان بشر بن عوانة :

أفاطم ، لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبر أخـــاك بشرًا

إذا لرأيت ليثـــا أمَّ ليثـــا :
هزبرًا أغلبا لاقى هزبرا

وتعدّد أدوات التعريف فى عدد من الأسماء عند انتقالها من لغة ألى لغة معروف فى اللغات كلّها . أما الأداتان للتعريف فمألوفتان :

مرّت كلمة « المُنَاخ » العربية (مبرك الإبلِ ثم أحوال الجو) إلى عدد كبير من اللغات مع أداة التعريف العربية :
almanach (Fr.), almanac (Eng.), Almanach (Ger.), almanacco (It.), almanaque (Sp.). almanak (Dut.). etc.

وأهل تلك اللغات يقدّمون على الكلمة العربيّة المحلّاة بلام التعريف العربية أداة التعريف عندهم فيقولون مثلا :
L'almanach, tha almanac, dar almanach etc.

وفى عدد من الأحيان تأتى لام التعريف العربية فى الكلمة المنتقلة إلى اللغة الإسبانية أو فى آخرها ، أو فى أول الكلمة وفى آخرها معا ، نحو almargal (المرج) ثم يدخل الإسبان عليها أداة التعريف عندهم ، فتصبح كلمة « المرج » فى اللغة الإسبانية معرّفة ثلاث مرّات : el almagral

* المنادى المقصود بالنداء :

نحن نقول فى إعراب « يا رجلُ » : رجلُ منادى مقصودٌ بالنداء مبنى على ما يرفع به ، وهو معرفة . فمن أين جاءت الضمّة ، ولم أصبح الاسم المنادى هنا معرفة ؟

نحن فى النحو ، عندنا وعند غيرنا ، لانسأل كثيرًا عن أسباب علامات الإعراب ، وإن كان لذلك كلّه أسباب واضحة ، ولكن فى الزمن الأقدم من حياة اللغة .

ونحن نعرف أيضاً أنّ كلمة كلب كانت فى اللغة الأعرابية العامّة العقدية الآشورية (بمدٍّ قصير) :

كلبون (فى الرفع) وكلبين (فى الجر) وكلبان (فى النصب) كلّها بمد قصير ، ثم أصبحت : كلبو ، كلبى ، كلبًا (بمد قصير أيضاً وبغير نون) .

ولعلنّا من أجل ذلك قلنا فى المنادى : يا رجلُ (معرفة) ويا رجلاً (نكرة)

* ويقف المرتضى الزبيدىّ (تاج العروس الكويت ٢ : ٥٢٤) أمام كلمة « أرنب » ويضعها فى باب « رنب » ثمّ يقول : « هو فعلل عند أكثر النحويّين .

وأما الليث فزعم أن الألف زائدة وقال : لا تجيءُ كلمة فى أوّلها ألف فنون أصليّة إلّا أن تكون الكلمة ثلاثة أحرف مثل

الأرض . . . » . بعدئذ تردّد الفيروزابادى بين أن تكون « أرنب » مذكرة أو مؤنّثة وأورد فى ذلك أقوالا للأُدباء واللغويين . والأرنب الذى هو الحيوان المعروف تجمع على أرانب .

ثم يورد الفيروزابادى كلمة « أرنبة » (طرف الأنف ، وجمعها أرانب أيضاً (٢ : ٥٢٥) .

والأرنب فى الأشوريّة « أنّا با » – والهمز فيه أصلية ، وجذرها « أنب » ، وهى مؤنّثة بدلالة الألف المتطرّفة آخرًا – . وبما أنّ العرب يكرهون التضعيف ، فى كثير من الأحيان ، فقد أبدلوا النون الأُولى فى « أنّا با » راء (وقد كان بالإمكان أن يجعلوا مكانها لاما أو حرفاً آخر قريباً من النون أو بعيدًا عنها) وكُرْه العرب – فى الأكثر – للتضعيف محتاج إلى درس مستقلّ) . أمافى الآرامية (السريانية) فالهمزة فى «أرنب » زائدة .

وإذا قلت أنا :إن هذه الكلمة من الأشوريّة ، فليس معنى ذلك أنّهَا غير موجودة فى العقدية (الأكدية) أو غيرها من الأعرابيّات .

* وهنالك كلمة دخلت فى القاموس لأنها سُمِعَتْ فى بعض القبائل ، فيما أحسب ، ولكن لم أرها فى نصّ أدبى ، هى :

البرنشاء بفتح ففتح وبالشين المعجمة ، أو بفتح فسكون (وبالشين أيضاً) .

وقد ترد بالسين معرّفة وغير معرفة ، وقد تأْتى بالمدّ : برناسا أى بالألف المقصورة وقد تأْتى مهموزة ، كما تأْتى فى عدد من الأشكال الأخرى .

ولسنا الآن فى تتبع صيغ هذه الكلمة على ألسنة نفر من أشخاص القبائل ، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا التعبير « برناشا » تعبير آرامى معناه بنى آدم أو الناس . (راجع فى ذلك كلّه تاج العروس – الكويت ١٥ : ٤٤٨ و ١٧ : ٧٩) .

* وهناك شواهد جمة منها :

– ليس من بِرم صيامٌ فى مْسفر .

– قول طرفة (والشاهد فى قوله : «قدى ») فى وصف سيفه :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة

إذا قيل مهلا ، قال حاجزه : قدى

– قول النابغة : (والشاهد فى « فقدِ » بكسر الدال) :

قالت : ألا ليتَمَا هذا الحمامُ لنا
إلى حمامتنـــا مع نصفه فَقَـدِ

– وقول النابغة أيضا : (والشاهد فى « قد » بكسر الدال) :

أفِدَ الترحّل ، غير أن ركابنـــا
لما تَزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

أما إذ نحن أتينا إلى ليس ، وليت ، ولات ، وأيم ، ولعمرى ، فإننّا نقف حينئذ أمام أمواج تتلاطم .

والذى أريده من هذا البحث أن اللغة العربية – ككل لغة أخرى – قد بقى فيها من الأصول القديمة أشياء لا تنطبق عليها القواعد المقبولة فيها اليوم . فليس من الضرورى فى مثل تلك الحال أن تفتح الصفحات الواسعة لتعليل وتخريج يكونان فى أكثر الأحيان خيالاً شخصياً ربما أصاب الحق وربما لم يصب الحقّ . فمن المستحسن أن نمر بهذه الرواسب بالكلمة المعروفة « كذا وردت » .

ولا بدّ فى ختام هذا المقال من كلمتين : كلمة تتعلق بعلماء اللغة عندنا ثم كلمة تتعلّق بى .

أوّلا : كان علماء اللغة القدماء عندنا وعلماء النحو وعلماء الفقه يحيطون بعدد كبير من وجوه المعرفة الإنسانية ، فالإمام مالك بن أنس ، والإمام أبو حنيفة ، وسيبويه ، والمرتضى الزبيدى ، وأمثالهم ، تنكشف بحوثهم عن معارف فى الحساب والجغرافية والفلك والتاريخ . وكانوا إذا أرادوا تعليل أمر أو تخريج قول أجالوا عقولهم فى ميادين تلك المعارف ، فكانوا يصيبون كثيرًا ولا يخطئون ، أو يخطئون قليلا .

أمّا فى أيامنا فهنالك وهْمٌ اسمه الاختصاص : نجد فيه قوماً لا يعرفون إلّا اللغة ويقولون : هذا اختصاصنا . وهذا فى الحق خطأ . إنَّ الاختصاص هو الإحاطة بميدان واسع من نطاق المعرفة الإنسانية ثمّ التوفُّر على جانب محدود معيّن منه . وإلّا ، فالذى لا يعرف إلّا اللغة لا يعرف اللغة .

بين يدى كتاب نحو فى شرح ألفيّة ابن مالك فى جزئين ضخمين يقلاّن قليلا عن ألف وأربعمائة صفحة . بدأ الشارح شرحه بمطلع الألفية :

قال محمّد هو ابن مالك
أحمد ربّى الله خير مالك

فقال :

– قال : فعل ماض .

– محمد : فاعل .

– هو : مبتدأ .

– ابن : خبر ، الخ الخ . وهو يعرب كل كلمة فى هذه الألفية .

وكنت أقلب هذا الشرح الذى يقرؤه أهل الاختصاص فوقع نظرى اتّفاقاً على هذا البيت من الألفيّة (ص ٢٦١) :

ومثلُ كان مسبوقاً بما
كأعْطِ مادُمْتَ مُصِيباً دِرهَمَا

فإذا الشارح يقول (ص ٢٦٢) : « أعط المحتاج درهما ما دمت مصيباً » .

ويبدو لى أن هذا الشرح لم يستقم عنده (ولا هو استقام عندى أيضاً).فزاد الشرح قائلا : أى مدة دوامك مصيباً » . وكانت هـذه الجملة أشد استغلاقا من أختها الأولى فأضاف جملة ثالثة هى « والمراد ما دمت تحب أن تكون مصيباً » . فزاد بهذا الشرح الثالث تعقيداً ثالثاً .

أما المعنى المقصود ، وهو واضح : لوكنتَ تملك درهما واحداً فلا تتأخّر عن العطاء (عن الإحسان إلى الآخرين) .

ثانياً : ليس لى اختصاص باللغات الأعرابية . وما أعرفه منها لا يعدو مطالعات يسيرة متفرّقة . وإنّى واثق من أن عددا من الحقائق التى أوردتها ومن الآراء التى أبديتها محتاج إلى تقويم أو تصحيح أو تحرير . ولكن لما كان أهل الاختصاص لايحومون حول هذا الموضوع وأمثاله ، فإنّ الميدان يبقى خالياً لمن كان مثلى فيمدّ فيه رأيه .

عمـر فروخ
عضو المجمع من لبنان



حين يهبط الإلهام الشعري على الخلفاء والملوك والسلاطين

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يستوى الإلهام الشعرى فى هبوطه (*) على كل ذى استعداد له ، وتأهُّبٍ لتلقِّيه ، سواء أكان سيدًا أم مسودًا ، حاكماً أم محكوماً ، أبيض أم أسود ، غنياً أم فقيرًا .

ألم يحدثنا تاريخ الأدب فى القديم ، والحديث عن شعراء من « السُّود » لم يمنعهم لونهم ولا سواد بشرتهم من أن ترفعهم موهبتهم فى الشعر إلى مراتب السادة ، ومنازل الأشراف . ولم يقف (اللون) حائلا بينهم وبين تصدُّرهم فى ميادين الأدب ، وساحات الحكمة والفضل ؟

ألم يكن (عنترة العبسى) فى الجاهلية أميرًا فى الشعر دانت له مقاليد الكلام ، ولم يحجبه اللون عَنْ المكانة التى استحقها بحق فى تاريخ الشعر العربى ؟

ثم ألم يكن (سُحَيم) على سواد لونه ، ومنزلته الاجتماعية المتواضعة فى المجتمع العربى ، شاعرًا يُصغَى إليه ، ويُستمعُ له ، وتردِّد الدنيا شعره ، وتَرَوى الأفواه حكمه ، حتى لقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يُعجب ببعض شعره ، ويردده فى مثل قوله

كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقد أدرك مبعث النبى عليه السلام ، وأسلم وعُمِّر طويلا ؟

ثم ألم يكن عدد غير قليل من الشعراء فى العصر الجاهلى وماتلاه من عصور حتى

(*) المرحوم محمد عبد الغنى حسن ، كان عضوا نابها بالمجمع ، كما كان شاعرا عريق المجد فى الشعر ، وكاتبا ومؤلفا فى الأدب والنقد والتاريخ . (انظر ترجمته فى كتاب « المجمعيون فى خمسين عاما » بقلم أستاذه وزميله وصديقه الدكتور مهدى علام .

يومنا هـذا مُدْقعين غارقين فى لجج الفقر والحرمان ، ولكن ذلك لم يمنع الإلهام الشعرى أن ينزل عليهم ، وأن يُؤْثرهم ببروائعه وبدائعه ، وأن يجعل أبواب الخلفاء والملوكِ تُفْتح لهم ، يدخلونها بلا حجاب ولا حُرَّاس ... ؟ فقد كان « أبو نواس » نديماً للخليفة العباسى « المأمون » طول خلافته . كما كان « البحترى » نديماً وجليسا للخليفة العباسى « المتوكل» لايكاد يفارقه ، حتى لقد قُتل بحضره ؟

والخلفاء والسلاطين والحكام ليسوا إلا ناساً من الناس ، وَبَشَرًا من البَشَر ، يختصهم الإلهام الشعرى بما يختص به أهلَ المواهب . وأصحابَ الاستعداد ، ويجلو عليهم من صحيح الرؤية ، وبديع الخيال ماهم أهلٌ له ، وماَميَّزَتْهُمْ به الموهبةُ والفطرة . فقد كان الشاعر الجاهلى : (امروُ القيس) أميرًا ولد فى بيت سيادة ومُلك ، وكان أبوه ملكاً ذا قدرة وسلطان فى قبائل «كندة » وألقت الأيام عبْ وراثة الملك على « امرئ القيس » ، فطلَّق ملذاتهِ وشهواته ، وقال عبارته المشهورة : (اليومَ خمرٌ ، وغدًا أمرٌ) ؛ وأخذَ الإلهامُ الشعريُّ المدفونُ فيه يهبط عليه فى كل مناسبة ؛ فيجيدُ النظم ، ويُحسن التعبير ، ويتناول مختلف المعانى والأغراض فيعالجها بشعرهِ الصادق الذى يصور أحاسيسه ومشاعره أصدق تصوير .

وكان « محمد » عليه الصلاة والسلام — أوَّل رائد وقائدٍ للمسلمين— يستمع إلى الشعر الصادق العذب الناطق بالحكمة والسداد ، فيطربُ له ، ويُعجب به فكان يستمع إلى شعر (سُحَيْم) عَبْدِ بنى الحَسْحاس ، ويستعذب معانى الصدق فيه . وكان يصغى إلى « حسَّان بن ثابت » شاعر الدعوة الإسلامية فى هجائه للمشركين فيدعو له بأن يؤيِّده الله بُروح القُدُس ، ولكن الله لم يُلهمه عمَلَ الشعر ، ولم يعلِّمهُ إياه ، حتى لايتهم بأنه من أصحاب الخيال ... ومع هذا اتهمه المشركون ، وقالوا عنه إنه ساحر أو مجنون .

ولقد بلغ من عدم معرفة النبى للشعر وعروضه وموازينه أنه كان أحياناً يَرْوِى البيتَ الصادقَ الحكيمَ من شِعر الشعراء » الصادقين الناطقين بأحكم الأقوال ، فلا يقيمُ وَزْنَهُ ، ولا يُعَدِّلُ ميْلهُ فلقد كان عليه السلام

يستشهد ببعض الشعر الحكيم « لسحيم » ، فتمثل يوماً بقوله :

كفَى الشّيبُ والإسلام للمرءِ ناهياً

كما سلف القول ، فرواه هكذا :

كفَى بالشّيب والإسلام للمرء ناهياً

بزيادة باء على كلمة : «الشّيب » ،فاختل وزن الشطر ، وكان أبو بكر الصديق حاضرًا ذلك المجلس النبوى–وهورجل كان له بصر كبير بالشعر– كما يقول المحققون من المؤرخين ، فأصلح روايةَ الشعر على وجهه الصحيح .. فأعادَها النبى عليه السلام على وجهها غير الموزون ، غَيْرَ مُلتفتٍ إلى تصحيح أبى بكر ، فقال أبو بكر معقبا ومعلّقًا : (أشهد أنك لرسول الله ، وما علمناهُ الشعرَ وما يَنبغى له) . وفى حادثةٍ ثانيةٍ يَروِى النّبى – عليه السّلام – بيتا للشاعر « طَرَفَةَ بنِ العَبْد » هكذا :

ستبدى لك الأيامُ ماكنتَ جاهلا
ويَأْتيكَ من لم تُزَوِّدْ بالأخبار

وصحّتُهُ واستقامةُ وَزْنِه هكَذَا :

ستُبدى لك الأيامُ ماكنتَ جاهلاً
ويأْتيكَ بالأخبارِ مَن لَمْ تُزوِّدِ

وإذا كان الله قد صرف نبيه صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر لحكمةٍ بَدَت لنا بعضُ وجوهها ، فإن الخلفاء الراشدين لم ينصرفوا عن نظم الشعر جملةً . وقد غالى بعضُ الرواة فى نسبة كثير من الشعر إلى الخليفة الأول « أبى بكر الصديق » ،استنادًا إلى ما كان له به من بَصَر شديد فى روايته وتذوُّقهِ ونَقْدِه . بل زاد بعضهم فنَسَبَ إليه قصيدةً صعبةَ المعالجة على قافية (الثاء) ، المثلثةِ الفَوقيةِ ، وهى قافيةَ ليست هيِّنةَ التداول . وقالوا إن «أبا بكر» نظمها فى غزوة (عُبَيْدة بنِ الحارث) الذى أرسله رسول الله فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين لاغير ليقاتلوا جماعة من قريش، وهى الغزوة التى رمى فيها «سَعْدُبنُ أبى وقاص » بأول سهم فى الإســلام . ومطلع تلك القصيدة :

أمِنْ طيفِ سَلمى بالبطاح الدّمائث
أرِقْتَ وأمْرٍ فى العشيرةِ حادثِ

وقد رواها كاملةً مؤرخ السيرة النبوية : «ابن إسحاق » ، ولكن المؤرخ الثقة : « ابن هشام » أنكرها ، وقال فى التعليق عليها إن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها

أو ينكر نسبتها إلى « أبي بكر الصديق » . ويبدو أن المؤرخ ابن هشام ع كثير من الحق فى هذا الإنكار ،ومما يقوى قولَهُ مارُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فى حديث رواه الزُّهْرى : (كَذَبَ من أخبركم أن أبا بكر قال بيتَ شعر فى الإسلام) . ويُفهم من حديث عائشة أن أباها رضى الله عنه قال شعرًا فى الجاهلية قبل إسلامه . .

وقد تأثر برواية « ابن إسحاق » لقصيدة أبى بكر فى تلك الغزوة بعضُ مؤرخى الأدب ونقاده ، وعلى رأسهم « ابن رشيق القيروانى » صاحبُ كتاب (العُمدة ، فى صناعةِ الشعر ونقْدِه) .

على أن ما نُسب للخليفة « عمر بن الخطاب » من الشعر أكثرُ ممـــا نُسب إلى أبى بكر الصديق .

فقد جاء فى كتب الأدب والنقد والتراجم نسبة البيتين الآتيتين إليه :

وهوِّنْ عليك فإن الأُمور
بكفِّ الإلٰهِ مقاديرُهـــا

فليس بآتيك منهيُّها
ولا قاصرٍ عنكَ مأمورُها

وإن كانَ أثْباتُ المحققين ينسبون هذا الشعر إلى « الأعور الشنِّى » . . .

ولم تَخْلُ سيرة الخليفةِ عثمانَ بن عفان من شعر نُسبَ إليه ، فقد نَسب إليه صاحب « العمدة » البيتين الآتيين :

غنَى النفسِ يُغنى النفسَ حتى يكفَّها
وإن عضَّها حتى يضُرُّ بها الفقرُ

وما عُسرةٌ فاصبرْ لها إنْ لقيتها
بكائنةٍ إلَّا سيتبعُهـــا يُسْرُ

ومن الطريف أن مؤرخاً مصرياً قديماً كالإمام « السيوطى » توقف فى « تاريخ الخلفاء » عن نسبة شىء من الشعر إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وإن كان قد دوَّنَ أبياتا جميلة من رثاء الشاعر « كعب بن مالك » للخليفة الشهيد . . .

أما رابع الخلفاء الراشدين : الإمام « علىُّ بن أبى طالب » ، ابنُ عم النبى عليه الصلاة والسلام ، وصِهْرُهُ على فاطمةَ سيدةِ نساء العالمين ، فقد وجد الرُّواة فيه مجالًا واسعاً لنسبة كثير من الشعر إليه ... ولعل اشتهار أبيه « أبى طالب » بالشعر

الجيِّد قد منَح الرواةَ فرصةً لنسبة « الإمام عليٍّ » إلى الشاعرية ، حتى تتحقق فيه نظريةُ وراثة المواهب .. ويؤكد الناقد الأدبي : « ابن رشيق » أن (الخلفاء الراشيدين الأربعة مامنهم إلاَّ من قال الشعر) ، ثم يقول المؤرخ السيوطى فى موطن من بعض كتبه : (كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان عثمان يقول الشعر ، وكان عليٌّ أشعر الثلاثة) .

ويلاحظ أن أكثر ما نُسب إلى « الامام على » من الشعر ليس على ماء واحد من الاستواء ؛ فهو مختلف المائية ، ولكنه يتميز باحتوائه على كثير من أخلاقيات « الإمام على » وسلوكياته المستقيمة فى الحياة . كقوله :

ولا تُفْشِ سرَّك إلَّا إليكَ
فإن لـكلِّ نصيحٍ نصيحا

فإنى رأيتُ غواةَ الرجـال
لا يدعُونَ أديماً صحيحاً

بل ذَهب بعض الرواة إلى المغالاة ،فنسبوا إليه شعرًا أمر أن يُنقشَ على سيفه ، وهو :

للناس حرصٌ على الدنيا بتدبير
وصفوها لكَ ممزوجٌ بتكدير

لم يُرْزَقُوها بعقل بعد ما قُسِمتْ
لكنهم رُزقوها بالمقادير

كم من أديب لبيب لاتساعده
وأحمقٍ نالَ دنيـــاهُ بتقصِير !

لوكان عن قوة أو عن مغالبة
طار البزاةُ بأرزاق العصافير »..

ولما كان خلفاء الدولة العباسية من نسل « العباس » عمِّ النبى – صلى الله عليه وسلم ، فهُمْ عرب قرشيون ، وكذلك كانَ بنو أمية قبلهم . فهم من العرب الأقْحاح الذين لم تفسدهم عُجمة الاختلاط بغير العرب . ولهذا نجد كثيرًا من خلفاء بنى أُمية ينظمون الشعرويجوِّدونه ، ويبرْعون فيه ! ومن أشهر شعرائهم : معاويةُ بن أبى سفيان ،وابنه يزيدُ وعبدُ الملك بنُ مروانَ ،وهشامُ بنُ عبدِ الملك وعُمرُ بنُ عبد العزيز . كما نجد جماعة من خلفاء العباسيين يتذوقون الشعر ، بل ينظمونه نظماً جيدًا على مدار العصر العباسى كله . ومن هؤُلاءِ الشعراء الخلفـــاء العباسيِّين : المهدىُّ والهادى ،وهارونُ الرشيد

والأمينُ ، والمأمونُ ، والواثقُ ، والمعتضد ، والمعتمدُ والراضى ، والمستنجد

على أن قسوة الأحداث السياسية فى تاريخ الخلفاء فى العصر العباسى لا يجوز أن تُنْسينا اسم خليفة شاعر عباسىٍّ لم يطُلْ به المقامُ على سرير الخلافة أكثر من يوم وليلة ، وهو أقصرُ عُمْرٍ سمح به الزمانُ لخليفة إسلامىٍّ وأعنى به الشاعر الخليفة المقتول : « عبد الله بن المعتز » . ولاشك أنه أقوى الخلفاء العباسيين شعرًا ، وأصحُّهم ديباجةً ، وأكثرهُمْ تفننا فى مجال القول ، وأصدقُهُمْ وأعمقهُم شاعريةً .. فقد نُظِم فى أكثر أغراضِ فنون الشِعر ، من وصف ، وفخر ، ومدح ، وهجاء ، وسخرية ، وشكوى ، وغَزلٍ ، ويُعدُّ ديوانُه من أكثر دواوين الشعر العربى خصوبةً ، واحتمالا بالمعانى بل لقد غالى بعضُ النقاد من المتعصبين للمشرق فنسبوا إليه موشحةً رقيقة المعانى ، لطيفةَ المبانى ، مطلعها :

أيُّها الساقِى إليكَ المشتكَى
قد دعوناكَ وإن لم تَسْمع

وإن كان بعض حذَقةِ النقادَ — وخاصةً من المحدثين — ينكرُ نسبَتَها إليه .

ولم تكن دول الخلافة الإسلامية الكبرى وحدها هى مناطَ تَجمُّع الخلفاء الشعراء ، كالدولة العباسية فى بغداد ، والفاطمية فى مصر ، بل كانت هناك فى المشرق وفى المغرب دُويلاتٌ أُخرى تتمتع بأُمراء أو سلاطين ينظمون الشعرَ ، ويجوِّدونه ، كدولة بنى حمدان التى امتاز شاعرها وأميرها « سيف الدولة الحمدانى » بشاعرية عالية ، وكدولة (بنى عبَّاد) ملوك أشبيلية وقرطبة بالأندلس .

ولعل « المعتمد بن عباد » — من ملوك الطوائف بالأندلس — مِن أنْبَهِ ملوك العرب والمسلمين ذكرًا ، وأجْملهم شِعرًا ، وأحفلهم تاريخا بالأحداث الجسام . فقد كانت حضرتهُ وحاضرتهُ بالأندلس ملْقَى الرحال ، وموسمَ الشعراء ، وقِبلةَ الآمال . ثم تقلبت به الأيام ، ودارت به أحوال الزمان ، فضاع منه ملكه ، وأخذ أسيرًا إلى بلدة (أغمات) بالمغرب ، وظل بها منفياً يبكى حظه ، ويندب حياته ، ويتذكر قصوره التى خلفها وراءه فى الأندلس تَنعَى من بناها ، فيقول فى شعر مؤثر حزين :

غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ
سيبكى عليه منبرٌ وسرير

وتندُبهُ البيضُ الصوارمُ و القَنَا
وينهَــلُّ دمعٌ بينهن غزير

مضى زمنٌ والمُلْك مستأنِسٌ به
وأصبحَ منه اليوم وهو نَفُورُ

ثم يمر به عيد من أعياد المسلمين وهو فى منفاه ، فيدخلُ عليه بناتُهُ المنفيات معه وهنَّ يغزلن لتحصيل قُوتِهنّ ، فيكاد المشهدُ يقتله غما وحُزناً ، فيقولُ من أبيات رائعة :

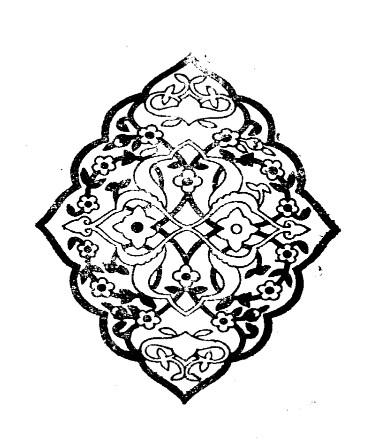
فيما مضَى كنتَ بالأعيادِ مسرورًا
فساءَك العيدُ فى «أغْمات» مأسورًا

ترَى بناتِكَ فى الأطمار جـائعةً
يَغزلْنَ للناس ما يملكْنَ قِطميرًا

مَن باتَ بعَدك فى مُلْك يُسرُّ به
فإنما بات بالأحلام مغرورًا

وهكذا نرى شعر الخلفاء على مر الأيام يختلف بين مد وجزر . وقد صدق أصدق القائلين : (وتلك الأيامُ نداولها بين الناس) .

محمد عبد الغنى حسن
عضــو المجمع



في شرح "العوامل المئة" للجرجاني
منهج تدريس علمي يسجله الشيخ خالد الأزهري
للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — كان منهج التأليف العلمي في القرون المتقدمة أشبه بما عهدناه في العصر الحديث من منهج المحاضرات . وأساسه عرض الحقائق العلمية وتفاريعها ؛ وفيما يتعلق بنحو العربية يتبين ذلك جليا في مؤلفات سيبويه والمبرد والفارسي وابن جني وأضرابهم .

ولما جاء عهد الشروح ، كان منهجها أول الأمر قريب الشبه بمنهج التأليف ، إذ يعرض الشارح لما قاله المصنف ويشرحه موضحا له ، أو زائدا فيه ، أو معقبا عليه ؛ وذلك واضح فيما يتعلق بالنحو في شروح الرضى وابن يعيش والسيوطي ، ومن لف لفهم من النحاة . وخلف من بعد هؤلاء خلفاء عرفناهم باسم علماء الحواشي والتقارير ، وكان لهم منهج متميز عن منهج المؤلفين أو الشراح ، بأنه يعنى بمناقشة عبارات التأليف أو الشرح ، وإضافة ما يعد نقدا أو ترجيحا أو إضافة ؛ والأمثلة على ذلك فيما يتعلق بالنحو عند النحاة المتأخرين كثيرة ، أظهرها وأقربها منا حاشية الصبان وتقرير الإنبابي وغيره .

٢ — وثمة منهج آخر بعيد كل البعد عن منهج المحاضرات الحديث ، بعيد بعض البعد عن منهج الشراح وأصحاب الحواشي والتقارير . ولم يكن هذا المنهج ملحوظا بوضوح فيما جرت به أقلام المؤلفين ، أو فيما أملوه على الدارسين ، بل كان له مجال يتمثل في جانبين : الجانب الأول . . حلقات التدريس في الأزهر أو ما يشابهه من معاهد التعليم ، والجانب الآخر مجلس الامتحان للفوز بالإجازة العلمية .

ففي الجانب الأول كان المدرس يعرض لعبارة المؤلف أو الشارح ، فيوسعها عرضا وإيضاحا ، ولكنه لا يكتفي بذلك بل يتطرق إلى كل ما يتصل بالموضوع ويستطرد ليتناول العبارة من جوانب لا تتصل بالموضوع عينه ، وإنما بفروع شتى من العلوم العربية ؛ وأما الجانب الآخر فكان الشأن فيه أن يحدد للدارس المتقدم للامتحان ما يسمى « التعيين » ، وهو جملة من كتاب معين ، يتهيأ الدارس ليمتحن فيما حوته من العلم ،

فإذا جلس مجلس الامتحان تداوله شيوخه بالأسئلة المتنوعة ، على جهة الاستطراد والتطرق ، لمعرفة ما للطالب الممتحن من قدرة وكفاية . وفى كلا الجانبين ، وبخاصة فى الجانب الآخر ، تدور المناقشة فى آفاق شتى من المعرفة ، لا تقتصر على موضوع النص ولا تكتفى بفرع العلم الذى يتناوله الدرس أو يجرى فى خصوصه الامتحان .

وخلاصة هذا المنهج أن المدرس مع طلابه فى حلقة الدرس ، أو الطالب مع شيوخه فى مجلس الامتحان ، يتنقل فى العرض والمناقشة ، تطرقا واستطرادا بين فروع وأنحاء شتى من العلوم . ولعلنا نستوفى هذا المنهج حقه من الإبانة إذا قلنا إنه منهج موسوعى ، ونعنى بالموسوعية معنى العمق وسعة الأفق والشمول ، وبذلك يخرج الطالب من الدرس أو مجلس الامتحان وقد دار فى مدارات متباينة من نحو ولغة وبلاغة وعروض ومنطق وغير ذلك مما يتسع له مقام الموضوع على قرب أو على بعد .

٣ ــ هذا المنهج الذى ألمعنا إليه ، يختلف عن منهج التأليف عند الأقدمين ، ومنهج الشرح والتحشية والتقرير فى العصور المتوسطة ، ومنهج المحاضرات فى العصر الحديث ، بيد أن هذا المنهج ــ لأن الأساس فيه المشافهة فى مجالس العلم ومذاكرته ــ ليس له صورة واضحة فى فى التآليف المكتوبة .

وأرجو ألا أكون مغاليا إذا صارحت بأن العالم الذى ترك لنا نموذج هذا المنهج مكتوبا ، ومصورا لخصائصه ، هو علامة النحو فى القرن التاسع الهجرى ، المعروف باسم « الشيخ خالد الأزهرى » ، وله من التآليف النحوية جملة ، أشهرها كتاب « التصريح بمضمون التوضيح » شرح فيه كتاب « ابن هشام » المسمى « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » ومع أن « للشيخ خالد » عددا من التآليف فى النحو ، ومنها ما هو شرح لعبارات مؤلفين سابقين ، فإنه لم ينهج فيها هذا المنهج الذى انفرد به فى أحد كتبه تأليفا أو شرحا ؛ وأكاد أقول هذا المنهج انفرد هو به تدوينا فى كتاب ، بعد أن كان على هذه الصورة المستفيضة المتشققة ، متعارفا بالمشافهة فى حلقات التدريس ، أو فى مجالس الامتحان .

٤ ــ بيان ذلك أن إمام العربية لغة ونحوا وبلاغة « عبد القاهر الجرجانى » له رسالته الفذة المسماة « العوامل المئة » أو « عوامل عتيق » تمييزا لها عن رســالة أخرى « للجرجانى » فى موضوع « العوامل المئة » أيضا .

وقد تجرد « الشيخ خالد » لشرح « عوامل عتيق » ، فكان له فى الشرح ذلك المنهج الغريب .

وما أحسن ما صنع الأستاذ الدكتور « البدراوى زهران » فى إخراجه لهذين المتنين للعوامل المئة » كما عرضها « الجرجانى » مع شرح « الشيخ خالد

الأزهرى « المتن الأول ، وهو « عوامل عتيق » ، فقد بذل من جهد البحث والتعريف ، ومن تحقيق النصوص والتعليق عليها ما هو أهله . ولكنه أضاف إلى ذلك كله حسنة أخرى كانت هى المصباح الكاشف عن منهج « الشيخ خالد » فى شرح النصوص . ذلك أنه حرص أيما حرص على تفصيل طباعى ، أفرد به كل مقولة أو توجيه . فبرزت بذلك فكرة مناقشة الشارح لكل جملة جرجانية . كما برزت نقداته وتعقيباته عليها غير مدمجة فى غضون السرد والعرض .

فأنت ترى « الشيخ خالد » يسوق الكلمة أو الجملة من كلام « الجرجانى » . فيبدأ بتحليلها إعرابا أو بالإبانة عن معناها تفسيرا . وهنا يعرض ما عسى أن يعن للباحث من وجوه الشبهات . نحوا أو لغة أو دلالة اصطلاحية أو غيرها . فيجيب عنها . وربما عرض لما فى الجواب من شبهة متفرعة . فلا يدعها حتى يحسم الكلام فيها . وهو فى هذا كله مسترسل فى التفصيص والتمحيص . غير واقف عند جوهر الموضوع المطروح وضوابطه العلمية . وكأنك حين تمضى فى قراءة ما هو مكتوب فى حلقة درس تجرى فيه المناقشة بين الدارسين وشيخهم فى طلاقة واسترسال .

وفى متابعتك للشيخ ومقولاته وجواباته لا تكاد تقضى العجب من ذكائه وقدرته وقوة عارضته فى الاعتراض ، وبراعته فى التوجيه والانتقاد .

وأنت فى حومة هذه المعارك الفكرية التى يثيرها الشيخ . محرز من الفوائد على اختلاف مناحيها مايؤنسك فى اطلاعك . حتى إنك فى بعض ما يثير . تقبل منه ما عسى أن تنكره . إعجابا بهذا الفكر العلمى الذى يتوهج فى ألمعيته .

٦ — وهـــذا المنهج يسرى فى شرح « الشيخ خالد » مسرى الدم فى العروق . ولكنى أحسب أنه أراد أن يطبق ما يعرفه البلاغيون باسم « براعة الاستهلال » فى تطبيق منهجه ، بأنه افتتح شرحه بالوقوف عند الجملة الأولى من المتن . وهى : « والعوامل فى النحو ، على ما ألفه الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى رحمة الله عليه مئة عامل » .

فأثار حولها من المسائل اللغوية والإعرابية والدلالية عشرات . فى إطار قوله : « فإن قيل كذا قلنا كذا » . فأتاح للقارئ سياحة علمية فكرية مع الشيخ يود لو أنها تمتد .

وإنى أجتزئ بسرد بعض هذه المسائل المثارة . وإليكها :

ما معنى العامل فى اللغة . وفى الاصطلاح؟ وما العامل المقيد ؟ . وكيف يجمع على عوامل ؟ . وما معنى اللام فى العوامل ؟ ،

للجنس أو للاستغراق أو للعهد الخارجي الحقيقي أو الحكمي ؟

وقوله : « في النحو » : ما هذا الظرف هل هو ظرف مستقر أو هو ظرف لغو ؟ وما النحو على اختلاف معانيه ؟ وما موضوعه ؟

وقوله : « على ما ألفه الشيخ » : ما التأليف وما التصنيف ؟ وما الجمع ؟ ولم اختار التأليف ؟ ، وما معنى الشيخ ؟

وقوله : « رحمة الله عليه » ما معنى الرحمة ؟ وكيف يوصف بها الله ؟

وقوله : « مئة عامل » : كيف يكون خبرا عن جمع ؟ ومتى تصح مراعاة الجهة المعنوية ؟ ولماذا لم يقل « مئة عوامل » ؟ وما المرجح ؟ وما معنى الإضافة ؟ هل هي بمعنى « اللام » أو « في » أو « من » ؟

وفي مطاوي الشرح أمثلة كثيرة متتابعة لهذا المنهج ، تسترعي الانتباه ، منها ما هو ترديد لما سبق إليه نحاة ، ومنها ما يترجح أنه من عند نفسه ونعرض هنا قوله في مناقشة دلالة الاستثناء ، والحوار حولها : « فإن قيل إن زيدا في قولك : « جاءني القوم إلا زيدا ، إما دخل في القوم أو خرج عنهم . فلو قلنا إن زيدا خرج عنهم لا يكون مخرجا عنهم زيد ؛ لأن إخراج الشيء فرع دخوله ، وأيضا يلزم خلاف الإجماع ، لأنهم اتفقوا على أن الاستثناء المتصل مخرج ولا إخراج : إلا بعد الدخول لأنه لو قيل : له على عشرة إلا درهما ، فالدرهم داخل في العشرة ثم أخرج . ولو قلنا : إن زيدا داخل في القوم ثم أخرج بإلا لكان المعنى جاء زيد ولم يجئ زيد ، فيلزم التناقض الصريح وحاصل التناقض أن القوم مثلا عبارة عن تسع أنفس مع زيد فزيد واحد من التسع ، فإذا كان القوم متصفين بالمجيء فزيد اتصف بالمجيء لأنه واحد منهم . فإذا قيل « إلا زيدا فلم يتصف زيد بالمجيء ، فيلزم أن زيدا متصف بالمجيء وعدم المجيء ، فليس هذا إلا تناقضا فكيف مثل هذا يقع في كلام الله تعالى ، مع أنه قد وقع : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » فيكون المعنى : فلبث الخمسين في جملة الألف ، ولم يلبث تلك الخمسين . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قيل إن دخول المستثنى في المستثنى منه ثم إخراجه منه بإلا وأخواتها إنما كان قبل إسناد الفعل . فلا يلزم التناقض في قولك :

جلس القوم إلا زيدا ، لأنه بمنزلة قولك : القوم المخرج منهم زيد جاءوني . وكذا لا يلزم التناقض في نحو قوله : له عشرة إلا درهما ؛ لأنه بمنزلة قولك : العشرة المخرج منهم درهم له علي . وذلك لأن المنسوب إليه الفعل هو المجموع المركب من المستثنى والمستثنى منه ، وإن تأخر المستثنى لفظا عن الفعل ، لكن لا بد من تقدم وجود على النسبة التي يدل عليها الفعل ،

إذ المنسوب إليه هو المجموع والمنسوب هو الفعل سابقا على النسبة بينهما ضرورة . في الاستثناء لما كان المنسوب إليه هو المستثنى منه مع إلا والمستثنى : فلا بد من وجود هذه الثلاثة قبل النسبة فلا بد إذن من حصول الدخول والإخراج قبل النسبة فلا تناقض »

وكما كانت تلك « براعة الاستهلال » في الشرح ، على هذا النهج ، كان « حسن الختام » أيضا ، كما هو عند البلاغيين فهو يختم شرحه بالعامل المعنوى الثانى . وهو عامل الرفع في الفعل المضارع : فهل هو التجرد من ناصب وجازم ؟ وهل هو وقوعه موقعا يصح وقوع الاسم فيه ؟ وهل يعتبر المضارع اسماً لوقوعه موقع الاسم ؟ وهل العامل حروف المضارع نفسها ؟ وهنا تتوالى المقولات في مناقشة هذه الأوجه . وفي الجواب عما يعترض به عليها . وذلك في متابعة وتسلسل .

٧ — وقد تناقل الدارسون في حلقات العلم ، وخاصة في الأزهر ، كلمة « الفنقلة » وهي نحت من قولهم : « فإن قيل » وجمعوها على « الفناقل » أو « الفنقلات » وفي هذا الشرح الخالدى للمتن الجرجانى تنساب كلمة « فإن قيل » انسيابا لاخفاء فيه ، كما ينساب عن كل « فنقلة » حسن الجواب ، وفصل الخطاب .

٨ — وقصارى القول في هذا الشرح أنه يتميز بأمرين :

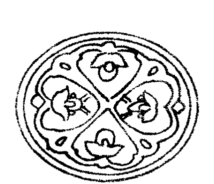
الأمر الأول : نزعة المناقشة للعبارة . والتطواف بمختلف الوجوه النحوية للمسائل

والأمر الآخر : الحرص على إعراب الأمثلة على اختلاف النظار إليها .

وفي كل ذلك مادة نحوية غزيرة . ورياضة فكرية في ممارسة التحليل للألفاظ والجمل . والشرح قبل ذلك وبعده فيه ملامح للتعليل تنم عن أسلوب التدريس والمناقشة العلمية قديما في الحلقات والمجالس بين الطلاب والشيوخ ؟

محمد شوقى امين

عضو المجمع



نماذج
من تحقيق اللحن عند الأسلاف
للأستاذ عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

١ – إبزيم :

قال الزبيدى فى لحن العوام – كما فى التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد :

«يقولون : بزيم للحديدة التى تكون فى طرف حزام السرج تسرج بها وقد تكون فى طرف المنطقة ولها لسان يدخل فى الطرف الآخر من الحزام والمنطقة» .

قال أبو بكر : الصواب إبزيم على مثال إفعيل وفيه لغة أخرى يقال :

إبزام والجمع أبازيم . قال العجاج :

مِن كُلِّ هِرَاجٍ نَبِيلٍ محزمه
يَدُقُّ إبزيم الحِـزام جشمه

ويقال أيضًا : إبزين ويجمع على أبازين .

قال أبو داود الإيادى :

من كُل جرداء قد طَاَدَت عَقِيقَتَها
وَكل أجْرد مُسْترخى الأبَازِين

ويقال للإبزيم أيضًا : زرفين وزرفن وفى الحديث : « أن درع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها شمرت ، وإذا أُرسلت مست الأرض » .

وقال مزاحم :

يُبَارى سديساها إذا ما تلمحت
شبا مثل إبزيم السِّلاح المؤسل

يصف ناقة .

والمؤسل : المحدد الذى رققت أسلته .

ويقال أيضًا للقفل : إبزيم .

وهذه العبارات كلها متفقة ، لأن الإبزيم إفعيل من بزم إذا عض .

قال أبو زيد : بزمت به أبزم بزما : إذا عضضته بالثنايا - دون الأنياب والرباعيات وكذلك البزم في الرمى وهو أخذك الوتر بالإبهام والسبابة ثم ترسل السهم .

فأما قول تميم بن مقبل :

عَلَى كُل مِلْوَاح يَزل بريمهـا
تَعَاطى اللجَام الفَارِسى وتصدف

فهو البريم بالراء ، وكذلك أنشدنيه قاسم ابن أصبغ عن السكرى عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

والبريم : حبل مفتول يكون فيه لونان وربما شدته المرأة على وسطها .

وأنشد الأصمعى :

* إذَا المرْضِع العَوْجَاء جَالَ بريمها *

وليس بالإبزيم الذى ذكرنا .

والبريمان أيضًا الكبد والسنام .

قال أبو عبيدة : يقـال : (أشولنا من بريميها شيا) .

انتهى النص من كتاب لحن العوام .

قال أبو عبد الرحمن : أما أصل المادة فقد قال عنه ابن فارس فى مقاييس اللغة ١-٢٤٥ : (الباء والزاء والميم أصل واحد : الإمساك والقبض . والإبزيم عربى فصيح . وهو مشتق من هذا .

قال أبو عبد الرحمن : وقد تابعه الخفاجى فى شفاء العليل . والعجيب أن الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال فى كتابه (معجم الألفاظ العـامية ذات الحقيقة والأصول العربية ص ١٢٩) اعتبر الإبزيم من العامية ذات الأصول العربية . ومثل هذا كثير فى كتابه ، وإنما صفتها أن يبوب لها بالألفاظ الفصيحة التى لا تزال العامة تستعملها .

أما ذات الأُصول العربية فهى بخلاف هذا . وهى التى يُلتمس لها وجه يصححها أو يعدِّ لها .

وأعجب منه الأُستاذ كس بن زائد العزيزى فقد قال فى قاموس العادات ١ / ١١٦ : إبزيم عروة من المعدن - ج بزمة .

قال أبو عبد الرحمن : ماكانت إبزيم تستعمل عند عامة أهل الأردن جمعا وإنما تستعمل للمفرد . وهذه الصيغة فى هذا

الموصوح لا تليق بالجمع لا فى الفصحى ، ولا فى حسّ العامة .

وأما بيت العجاج الذى أورده الزبيدى فقد كان عنده بلفظ : (هداج) .

والتصحيح من ديوان العجاج بشرح ، الأصمعى ص ٤٣٥ — ٤٣٦

والهراج : صفة للفرس إذا كثر عدوه أو اشتد .

ونبيل محزمه : ضخم الوسط .

وآخر تفعيلة من الشطر الثانى من أربعة متحركات وساكن . وهو نشاز لا تقبله الأذن مطلقا وقد قبله العروضيون . لأنه مسموع ، ولأن الرجز عندهم — وهو حمار الشعر — مقبول فيه الخلل لنثريته .

هكذا يزعمون .

والذى يظهر لى فى مثل هذه النماذج أن الشاعر ينظم للغناء والترنم فيضطر إلى التهام حرف أو تسكين متحرك — كما نجد فى الشعر العامى — فإذا فيدوه : ضبطوه حسب القاعدة اللغوية ه .

وجشمه : وسطه .

وأمّا إبزين فهى على الإبدال ، والأصل الميم . ولهذا جعل اللغويون الإبزين لغة فى الإبزيم . وهذا اتفاق منهم على أن الأصل الميم .

وعن إبدال الميم نونًا راجع معجم تيمور ١—٨٤ . ومعجم الألفاظ العامية لعبد المنعم ص ٦٠

وفى الأصل الخطى من كتاب التهذيب لابن شهيد بمكتبة شستربتى ورد بيت أبى دؤاد بلفظ : (عقيقها) .

والبيت من قصيدة لأبى دؤاد فى وصف الخيل . وهو فى تهديد الأعداء بإغارة على الخيل وقبله :

إنْ لَم تلطنى بهم حَقًّا أتَيْتُكم
حُوًّا وكُمتًا تعـــادى كالسراحين

انظر : غرنبا و م ص ٣٤٥

وفى لحن العوام الذى حققه أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب ورد المفرد (زرفن) والجمع (زرافن) .

وهكذا فى الأصل إلّا أنه أورد الحديث بالقاف وبصيغتى الجمع هكذا :

(ذات زراقن إذا علقت بزراقينها) . ا هـ